المحاضرة التاسعة : رمزية الألوان

تعريف اللون : هو مختلف الموجات الإشعاعية التي تصل إلى العين وتحدث فيها تحولات كهربائية ينقلها العصب البصري في شكل تيارات للدماغ ، بينما يعرفه ميشال دوبري Michal Délibérée من الناحية السيكلولوجية على أنه " إحساس نابع من داخلنا عن طريق رؤيتنا للأشياء الملونة بالضوء الملائم بواسطة العين " ،فهو إحساس وليس له وجود خارج الجهاز العصبي للكائنات الحية إلى جانب كونه ليس له أي حقيقة إلا ارتباطه بالعين التي تسمح بحسه ، وإدراكه في شروط وجوده.

فاللون في الحقيقة هو طاقة مشعة لها طول موجي ، يختلف في تردده وتذبذبه من لون إلى أخر ،وتقوم المستقبلات الضوئية في الشبكية باستقبالها وترجمتها إلى ألوان ، وتحتوي الشبكية على ثلاث ألوان هي الأخضر ،والأحمر ،والأزرق وبقية الألوان تتكون من مزج هذه الثلاثة وقد اكتشف العلماء أنه عندما تدخل طاقة الضوء إلى الجسم فإنها تنبه الغدة النخامية ، والجسم مما يؤدي إلى إفراز هرمونات معينة تحدث مجموعة من العمليات الفسيولوجية ، وبالتالي السيطرة المباشرة على تفكيرنا ومزاجنا وسلوكياتنا

بعض المصطلحات المرتبطة بالظاهرة اللونية :

كنة اللون : المقصود بذلك أصل اللون وهي تلك الصفة التي نميز بها ونفرق بين لون وأخر والذي نسيمه باسمها فنقول هذا بنفسجي وهذا لون أحمر

إدراك الألوان إننا لا نستطيع إدراك الأشياء الملونة إلا بواسطة الضوء الواقع والذي ينعكس جزء منه إلى أعيننا وهذا ما تفطن إليه حسن بن هيثم إذ قال بأن العين لا تدرك الألوان في الظلام ، ومنه يمكن القول أنه لا شيئ ملون إلا إذا سلط عليه ضوء فاللون وفق هذا المنطلق ليس صفة من صفات الأجسام ،وليس له أي حقيقة إلا ارتباطه بأعيننا التي تسمح بإدراكه وحسه بشرط وجود الضوء .فهو ظاهرة مرتبطة مرتبطة بعاملين أساسين هما :

أ) الجهاز العصبي

ب) الضوء

التضاد اللوني : وينقسم التضاد اللوني إلى ثلاث أقسام :

1- التضاد اللوني في القيمة : ومعناه أن كل لون يؤخر قيمته حسب حدته عند التضاد

2- التضاد الضوئي في اللون : ومعناه الخداع البصري أين يظهر اللون نفسه فاتحا بينما يظهر داكنا فوق الفاتح.

3- التضاد اللوني في اللون : والمقصود به تضاد لونين لهما نفس القيمة (فرعي مع فرعي(

القيمة اللونية : لا تظهر القيمة اللونية بتجاذب لونين أو أكثر حيث يظهر الاختلاف في واحدة ،فهذا الاختلاف في الحدة عند التضاد يسمى بالقيمة.

النغمة اللونية : للون نغمتان صافية ومتواترة ،فالنغمة الصافية المقصود بها أصالة اللون بدون إضافة ، أما النغمة المتواترة المقصود بها زيادة إضافية على اللون الأصلي.

تقسيمات الألوان : تنقسم الألوان إلى قسمين أساسين :

القسم الأول : يضم الألوان الأساسية والثانوية

الألوان الأساسية : تتكون من الأحمر والأزرق والأصفر وقد أطلق عليها ألوان أساسية نتيجة عدم القدرة على الحصول عليها عن طريق مزج الألوان الأخرى.

الألوان الثانوية : تتكون الألوان الثانوية بخلط لونين من الألوان الأساسية مثال مزج اللون الأحمر بالأصفر ينتجان اللون البرتقالي

والقسم الثاني : ويضم الألوان الدافئة والألوان الباردة

الألوان الدافئة :فهي تعد ألوان جريئة ونشيطة فهي الألوان التي تميل إلى الظهور في الفضاء وتتمثل الألوان الدافئة في الأصفر ، الأحمر ،البرتقالي وسميت بهذا لأنها تذكرنا بألوان النار والشمس والدم وهي مصادر الدفئ

الألوان الباردة : تسكن الألوان الباردة في الطبيعة ،فهي تعطي إنطباعا بالهدوء وتشمل الألوان الباردة كالأزرق والأخضر والبنفسجي ،وقد سميت بالألوان الباردة لأنها تتفق مع لون السماء والماء والثلج وهما مبعث البرودة

رمزية الألوان :

اللون كصيغة بصرية قد أولاه الإنسان اهتماماً كبيراً منذ القدم باعتباره وسيلة للتمييز بين الكثير من الأشياء المادية المتعلقة بالجانب البصري، ما أرتبط أيضاً باللغة والأحاسيس المعنوية فتقول " ضحكة صفراء" و" أحلام وردية" و" أفراح بيضاء" و" أيام سوداء " إلى غير ذلك من الدلالات الرمزية للألوان والتي قد تختلف من فنان إلى فنان آخر. ومن عصر لآخر ومن ثقافة مجتمع إلى ثقافة آخر ، إذ تصنف الألوان سيميولوجيا ضمن المدونة الجمالية code esthétiqueوالتي تستمد معانيها الثقافية من المدونة الاجتماعية ،أي من الدلالات التي تنتج عن الاتفاق العرفي لنسق ثقافي الأمر الذي يبرر تباين رموز وإيحاءات الألوان من نسق ثقافي لأخر ، فما يدعوا للتفاؤل والسعادة في ثقافة ما ، قد يدعوا في ثقافة أخرى للحزن.

فالدلالات الخاصة بالألوان هي دلالات محلية ومرتبطة بسياق ثقافي بعينه ، لهذا " لاوجود لترسيمة جاهزة ومطلقة لتأويل الألوان ، إن الأمر يتعلق بحساسية خاصة تجاه المؤول وتجاه ثقافته وتاريخه وتاريخ الآخرين أيضا

ويعود الاختلاف في دلالة الألوان بحكم عدة عوامل منها:

-قوة اللون أو علامته في عصر ما قبل التاريخ والحضارات القديمة.

-دور اللون ورمزيته في العادات و التقاليد.

-رمزية اللون في العقيدة أو الدين.

ولقد بدأ اللون يأخذ لأول مرة صفة الرمز في عصر البابليين، بحيث أنهم أعطوا في تقاليدهم وعباداتهم لونا لكل نجم من نجوم الفلك.

وسوف نتناول بعض هذه الدلالات الرمزية والتي نجد بها بعض القواسم المشتركة في التفكير الإنساني بشيء من الاختصار كما يلي :

•اللون الأبيض : وكما هو معلوم فإن "الأبيض: يرمز إلى الطُّهر والصفاء والبراءة والحرية والسلام والاستقرار" ، وكذلك هو رمز للضوء وللنهار، للصدق والإخلاص وعدم التحيز، للنقاء في الحب والرقة والشفافية، ومن جهة أخرى بما أن اللون الأبيض لون الكفن فيه رمزية إلى ترك الدنيا وخطاياها، وغسل الذنوب والآثام، كما يرمز إلى الحياة الجديدة المتجددة " كما يرمز إلى كوكب القمر كما

اللون الرمادي : دال على الغموض والحياد والرسمية والجدية.

اللون البنفسجي: هو رمز للماء، والحنين الدافئ،والذاكرة والتذكر،و الطاقة الروحية الفائضة ، والتحرر من الجنون

اللون البرتقالي : هو رمز للحب بكل أنواعه وأسمى تجلياته خاصة الحب الإلهي

اللون الأسود : دال على الموت والحزن والتشاؤم والحرب والخبث والظلام..

اللون الأحمر: كان هذا اللون يرمز للدم الذي يعني الحياة بالنسبة للإنسان والحيوان، إذ كان الفراعنة يطلون به الأشجار والحيوانات وأشياء أخرى من ممتلكاتهم، بغرض حمايتها من المصائب وطرح البركة فيها، كما كان سكان واد النيل يدهنون أجسامهم به أثناء الاحتفالات ويرتدون الحلي المصنوعة من العقيق الأحمر. فعادة استعمال هذا اللون وجدت كذلك لدى الأمازيغ القدامى الذين كانوا يعتبرونه مقويا سحريا، يرمز إلى الحياة والدم و يمنح الحيوية والقوة كما يبعد الأرواح الشريرة عن الأموات، فكانوا يستعملون آنذاك سائلا يدعى بالأحمر الجنائزي لطلاء القبور والأثاث الجنائزي و رش عظام الأموات لاسيما الرأس منها. ويمز اللون الأحمر عند الهندوس إلى الحياة والبهجة وبعض القبائل تلطخ المولود بالدم حتى تكون له فرصة في العيش مدة طويلة.

اللون الأخضر: هو لون عرف منذ القدم و من طرف شعوب كثيرة، إذ يرمز في الكنيسة الكاثوليكية الحالية إلى المختارين من عند الرب و الروح المقدس، بينما يرمز إلى الأرض

في الكنسية الشرقية أما دلالته في الإسلام فهو رمز الجنة. ، كما يعبر الانشراح والهدوء، وهو لون الجنان ،رمز العطاء والنماء والحياة والصحة.

اللون الأزرق: يقولون فلان شيطان أزرق أو عدو أزرق لشدة خبثه ومكره وحيلته ، إذ كره العرب اللون الأزرق والعيون الزرقاء فاتهموا أصحابها بالكذب واللؤم والشر ، فقد عرف العرب القدامى اللون الأزرق في عيون الغزاة الروم . كان عرف هذا اللون في القديم بقدرته على الحماية من الشر ومن النظرة الحاسدة وكان يسمى قديما بالنيلي التي ربطت بواد النيل الشهير الذي يرمز لدى الفراعنة بلونه الأزرق إلى الخلود و الأبدية .

اللون الأصفر: يحمل هذا اللون عدة دلالات إذ كان يرمز قديما لدى الصينيين إلى لون العظمة و الأرض، كما كان يرمز عند الفراعنة إلى جسد الآلهة، و بحكم لونه فهو يرمز كذلك إلى لون الشمس و النور الذي يبعد الأرواح و الجن، ويرمز للشحوب و للمرض فيقال فلان مصفر الوجه.

للإشارة في الثقافة العربية تستمد الألوان دلالتها من المعتقد الديني السائد في هذه الثقافة ، ففيها يرمز اللون الأبيض إلى الطهارة فهو لون لباس الإحرام ولون المبشرين بالجنة لقوله تعالى في محكم تنزيله " يوم تبيض وجوه ،وتسود وجوه " آل عمران الآية 106 ،كما يدل اللون الأبيض في الموروث الشعبي إلى الطبية فيقال: فلان قلبه أبيض ، ويدل أيضا على نقاء العرض وصفاء الشرف.

اللون الأسود : كان العرب ينفرون من اللون الأسود الذي يعتبرونه رمز للفشل والجهل والشؤم وسوء الخاتمة ، وقد ورد اللون الأسود سبع مرات في القران الكريم منها قوله تعالى في سورة أل عمران 106 : " يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم"

اللون الأخضر : إن العرب والمسلمين يتفاءلون بكل ما هو أخضر الذي يرمز للخير والنمو و هو لون أهل الجنة لقوله تعالى :" متكئين على رفوف خضر.. "الرحمن الآية 76وهو من بين أهم الألوان المحببة عند الرسول صلى الله عليه وسلم.